في عصر الرشيد

﴿ لابلبا ابي ماضي ﴾

***

كم بين طيات العصور الخاليه ... عظة لابناء الدهور الآتيه !
عبرُ الليالي كالليالي جمة ... لكنما النذر القلوب الواعيه
الدهر يفنينا ونحسب انه ... يفني بنا ايامه ولياليه
فاذا مشى فينا الفناء فراعنا ... خلق الخيال لنا الحياة الثانيه
ان الحياة قصيدة ابياتها ... اعمارنا والموت فيها القافيه
كم تعشق الدنيا وتنكر صدها ! ... انسيت ان الخلف طبع الفانيه ؟
وتود لو يبقى عليك نعيمها ! ... اجهلت ان عليك رد العاريه ؟
خلِّ الغرور بما لديك فانما ... دنياك زائلة ونفسك فانيه
ان الألى وطأت نعالهم السهى ... وطأت جباههم نعال الماشيه
لو ان حياً خالدٌ فوق الثرى ... ما مات «هارون» وزال «معاويه»
او كان عزٌ دائماً ما اصبحت ... « بغداد » في عدد الطلول الباليه
اخنت عليها الحادثات فدورها ... خربٌ تعاورها الرياح الساقيه
يأوي اليها البوم غير مروعٍ ... من كل نعابٍ احمٌ الخافيه
نزل القضاء فما حماها سورها ... ولطالما رد الجيوش النازيه
واجتاح مجتاح العروش ملوكها ... فكأنهم اعجاز نخلٍ خاويه

اين القصور الشاهقات واهلها ؟ باد الجميع فما لهم من باقيه
درست معالمها وغيّرها البلى ولقد ترى حلل المحاسن كاسيه
ايام لا دوح المعارف ذابلٌ ذاوٍ ولا دور الصناعة خاليه
ايام لا لغة الكتاب غريبة فيها ولا همم الاعارب وانيه
ايام كان العلم يغبط اهله اهلُ الثراء ذوو البرود الضافيه
ايام كان لكل حسنٍ شاعرٌ كلفٌ به ولكل شعرٍ راويه
ايام «دجلة» مطمئنٌ هادئٌ جذلان يهزأ بالبحور الطاميه
النيل خادمه الامين وعبده نهر الفرات وكل عينٍ «جاريه»
تهوى الكواكب انها حصباؤه او انها شجرٌ عليه حانيه
وتود كل سحابة مرت به لو انه سحبٌ عليها هاميه
وترى الغزالة طيفها عند الضحى في سطحه فتبيت عطشى راويه
ايام كان الشرق مرهوب الحمى يكسو الجلال سهوله ورواييه
ايام تحسدها العواصم مثلما حسد العواطل اختهن الحاليه
ولطالما كانت تعز بعزها « مصر» ويحمي ذكرها انطاكيه
ايام هارون يدير شؤونها يا عصر هارون عليك سلاميه
ملكٌ ادال من الجهالة علمه وأذلّ صارمه الملوك العاتيه
وبعثت تطوف في البلاد هباته تغشى حواضرها وتغشى الباديه
ملأ البلاد عوارفاً ومعارفاً والارض عدلاً والنفوس رفاهيه
فتحضّر البادون في ايامه واستأنست حتى الوحوش الضاريه
وتسربلت « بغداد » ثوب مهابة ليست تراه اوّ تراه ثانيه

هاتيك ايام تلاشت مثلما تمحو من الرق الحروف الماحيه
لم يبقَ الا ذكرها يا حسنها ذكرى تهش لها العظام الباليه
لو ان هذا الدهر سفرٌ كنت يا عصرٌ لئن جاء البشير بعوده فلأخلعنّ على البشير ثيابيه

. . . .

ايهٍ ابا المأمون ذكرك آبدٌ في الأرض مثل الشامخات الراسيه
باقٍ على مرّ العصور بقاءها وكذاك ذكر ذوي النفوس السامية
ان لم يكن لك من مثالٍ بيننا فلأن روحك كل حين دانيه
هيَ في الخمائل زهرة فياحةٌ هيَ في الكواكب شمسها المتلاليه
اني لأعجب كيف متّ وفي الورى حيٌّ وكيف طوتك هذه الطاويه!
ومن الزمان يهد ما شيدته ! وبح الزمان اما تهيب بانيه !
تشكو اليك اليوم نفسي شجوها فلأنت مفزع كل نفس شاكيه
اتراك تعلم ان دارك بُدّلت من صوت «اسحاق» بصوت الناعيه؟
اتراك تعلم ان ما أثلته قد ضيعته الانفس المتلاهيه ؟
يا ويح هذا الشرق بعدك انه للضعف بات على شفير الهاويه
ما كان يقنع بالنجوم وسائدًا واليوم يقنع اهله بالعاليه
مسترسلون الى الذهول كانما سحروا او اصطرعوا بنبت الخابيه
مستسلمون الى القضاء كانما أُخذوا ولما يأخذوا بالغاشيه
المجد ادراك النفيس وعندهم ما المجد الا شادنٌ او شاديه
يهوى الحياة الناس طوع نفوسهم وهم يريدون الحياة كما هيه

صغرت نفوسهم فبات عزيزهم يخشى الجبان كما يخاف الطاغيه
حملوا المغيـارم ساكتين كأنما كبرت على احناكهم لا النافيه
لم تسمع الدنيـا بقوم قبلهم ماتوا وما برحوا الديار الفـانيه
الله لو حرصوا على امجادهم ! فلتلك عنوان الشعوب الراقيـه
ملك العلوج امورهم ومتـاعهم حتى سوامهم وحتى الآنيه
وا خجلة العربيّ من اجداده ! صارت عبيدهم الطغام مواليـه

. . . .

أبني القطارفة الجبابرة الألى وطأوا «اللوار» ودوخوا «اسبانيه
من حولكم وامامكم تاريخهم فاستخبروه فذاك اصدق راويه
قادوا الجيوش فكل سهل ضيّق ورموا المعاقل فهي ارض دانيه
وسطوا فاسقطت العروش ملوكها رعباً واجفلت الصروح العـاليه
ومشوا على هام النجوم فلم تزل في الليل من وجلٍ تحدق ساهيه
وردت خيولهمُ المجرّة شزّباً والشهب من حول المجرة صاديه
اعطاهمُ صرف الزمان زمامه أمنوا وما أمن الزمان دواهيه
لا استفزكم لمثل فتوحهم لكن الى حفظ البقـايا الباقيه
انذلّ آناف الملوك جدودكم وتسومكم خسفاً رعاة الماشيه ؟
كم تصبرون على الهوان كانكم في غبطةٍ ! والذل نار حاميه
يا للرجـال ! اما علمتم انكم ان لم تثوروا امة متلاشيـه ؟

. . . .

دار السلام تحية من شاعرٍ حسدت مكارمه عليكِ قوافيه

فاراق ماء شؤونه ولو انه في الغاديات أراق ماء الغاديه
لو كان مجدك مستردًا بالبكا قطرت محاجره الدماء القانيه
فعليك تذهب كل نفس حسرة ولمثل خطبك تستهار الباكيه

انا في حالتي التي قد تراني ان تأملت أحسن الناس حالا
منزلي حيث شئت من مستقر — الارض أو تحت الميـاه زلالا
ليس لي كسوة اخاف عليهـا من مغير ولا ترى لي مـالا
اجعل الساعد اليمين وسادي ثم اني اذا انقلبت الشمالا
ليس لي والد ولا لي مولود — ولا جزت مذ عقلت عيـالا
قد تلذذت حقبة بامور فتأملتهـا فكانت خيـالا

(ابو وهب القرطبي)